فترجع فينا دولة ظاهرية • كما بدأت والأمر من بعده الأمر •
عسى الله إن الله ليس بغافل • ولا بد من يسر إذا ما انتهى العسر •

فكتب إليه عبد الله وصدره فيها

ونحن لكم إن نالنا مس جفوة • فمائل لا والها الصبر والأجر •
فإن زحزحت من نعمة الله دولة • إلينا فمنا عندها الحمد والشكر •

وجاء محمد بن عبيد الله يعصب هذا ساكرا النعيم ولم يعد إليه

وكتب إليه ابن المعتز

تذ جئتنا مرة ولم تعد • ولم تر نعمدها ولم تعد •
لست ترى واحدا أنا عوضا • فاطلب وجرب واستقص واجتهد •
نادوني حبل وصله بيد • ونحره جاذب له بيد •
فلم يكن بين ذا وذا أمد • إلا كما بين ليلة وغد •

ولم يزل في طيب عيش ودعة من عوادي الزمان إلى أن فاتت الدولة وثبوا على المقتدر وخلعوه وأقاموا ابن المعتز فقال بشرط أن لا يقتل بسببي مسلم ولقبوه المرتضي بالله وقيل المنتصف وقيل الغالب وقيل الراضي حدث المعافى بن زكريا الجريري قال لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير فقال ما الخبر بويع ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة قيل محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء قيل الحسن بن المثنى فأطرق ثم قال هذا أمر لا يتم قيل وكيف ذلك قال كل واحد ممن سميتم متقدم في معناه عالي الرتبة والدنيا مولية والزمان مدبر وما أرى هذا إلا اضمحلالا وما أرى لمدته طولا وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالتحول إلى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل هو إلى دار الخلافة فأجاب ولم يبق معه غير مؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغريب خاله وجماعة من الخدم وبادر الحسين بن حمدان دار الخلافة مقاتلها فاحتمى الخدم فدفعوه عنها بعد أن حمل ما قدر عليه من المال وسار إلى الموصل ثم قال الذين عند المقتدر يا قوم نسلم هذا الأمر ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا فلو أنا زوارق والبسوا جماعة منهم السلاح وقصدوا المخرم وبه عبد الله بن المعتز فلما رأى من حوله ذلك أوقع الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا حرب وخرج ابن المعتز فركب فرسا ومعه وزيره محمد بن داود وحاجبه يمن وقد شهر سيفه وهو ينادي معاشر العامة ادعوا لخليفتكم فأشار إلى [illegible] الحبش ليتبعوه إلى سامرا ليثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد فنزل ابن المعتز عن دابته ودخل دار ابن الجصاص الجوهري واختفى الوزير ابن داود والقاضي أبو المثنى ونهبت دورهما ووقع النهب والقتل ببغداد وقبض المقتدر على

الأمر إلى القضاة الذين خلعوه فسلمهم إلى مؤنس الخازن فقتلهم واستقام الأمر للمقتدر واستوزر ابن الفرات ثم بعث جماعة فكبسوا دار ابن الجصاص وقبض على ابن المعتز ثم أخرج فيما بعد ميتا ورثاه علي بن محمد بن بسام بقوله

لله درك من ملك بمضيعة • ناهيك في العلم والآداب والحسب •
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه • وإنما أدركته حرفة الأدب •

وهو من قول أبي تمام

ما زلت أرمي بآمالي مطالبها • لم يخل العرض مني سوء مطلبي •
إذا قصدت لشأو خلت أني قد • أدركته أدركتني حرفة الأدب •

وقد بلغ الشعر هذا المعنى فقال ابن الساعاتي

عففت القريض ولا أسمو له أبدا • حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب •
تحرج نظمي له لا من مهانته • لكنها خيفة من حرفة الأدب •

وقال ابن قلاقس

لا أقصدنك لتقدم وعدت به • من عادة الغيث أن يأتي بلا طلب •
عن جاهك غني عن ريبة • وإنما أنا أخشى حرفة الأدب •

رجع إلى أخبار ابن المعتز قال بعض من كان يخدمه إنه خرج يوما يتنزه ومعه ندماؤه وقصد باب الحديد وبستان الناعورة وكان ذلك آخر أيامه فأخذ حرقة وكتب على الجص

سقيا لظل زماني • ونومي المجرود •
وليلة وصل قدام • بيوم صد وكد •

قال وضرب الدهر ضربانه ثم عدت بعد قتله فوجدت خطه ذهب وتحته مكتوب

أف لظل زماني • وعيشي المنكود •
فارقت أهلي وإلفي • وصاحبي وودودي •
ومن هو يشتهي جفائي • مطاوعا لحسودي •
يا رب موتا وإلا • فراحة من صدودي •

ويقال إنه لما سلم لمؤنس ليهلكه أنشد

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك • خانتك من بعد طول الأمن دنياك •
مرت بنا سحرا طير فقلت لها • طوباك يا ليتني إياك طوباك •
إن كان قصدك شرقا فالسلام على • شاطي الفرات أبلغي إن كان مثواك •
من موثق بالمنايا لا فكاك له • يبكي الدماء على إلف له باكي •
أظنه آخر الأيام من عمري • وأوشك اليوم أن يبكي له الباكي •

Copyright © King Saud University